مثيرو الشغب

- المتحرشون بالنصوص:

في كل زمان ومكان هناك فئات تُدمن إثارة زوابع الفتنة والتحرش بالنصوص، ترتدي قفاز الوصاية على الدين وتضج من حالة الهدوء والاستقرار، فتنبش في الكتب بحثًا عن نص غريب أو فتوى شاذة لجلد كل المخالفين، فالدين ما فهموه، وما سواه فهو باطل، وليتهم اقتصروا على طنين الكلام، ولكنهم مارسوا الإيذاء البدني ضد من يتفوه بخلاف ما اعتقدوه، ومن الأمثلة التي تدل على ذلك ما عُرف في التاريخ بفتنة الحنابلة والأشاعرة، ومحنة ابن جرير الطبري مع الحنابلة.

عندما يذكر ابن كثير في تاريخه أن الإمام الطبري دفن في داره؛ لأن بعض عوام الحنابلة ورعاعهم (هكذا باللفظ)، منعوا من دفنه نهارًا، فإنك لابد أن تشعر بالقلق، وعندما يذكر ابن كثير أن بعض هؤلاء نسبه إلى الإلحاد، فإنك يجب أن تتحسس رأسك من وقت لآخر، لأن عالمًا كبيرًا بحجم ابن جرير والذي قال عنه ابن كثير أيضًا بأنه أحد أئمة الإسلام، علمًا وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله، وإنما تقلدوا ذلك عن أبي بكر محمد ابن داود الفقيه الظاهري.

إن عالمًا كبيرًا بهذا الحجم، كان ضحية للمتهورين، لكن ابن كثير وضع يديه أيضًا على أحد الأسباب التي أدت إلى ذلك، وهو التقليد الأعمى لبعض المتعصبين، دون محاولة للفهم ودون محاولة للتريث، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن المتعصبين ومثيري الشغب موجودون في كل زمان ومكان، والآفة الكبرى الآن أننا في مرحلة انتقالية، فقد تنفس المجتمع الصعداء، وإذا كان الرجل الذي ضلت راحلته في الصحراء قد أخطأ من شدة الفرح، وقال اللهم أنت عبدي وأنا ربك، فإن أخطاء وخطايا الذين تحرروا من أحذية النظام السابق، لا تتوقف عن خطأ اللفظ بل إلى الاعتداء بالسلاح.

obeikan.com